الأعمال
الإبداعية

مأساة الحلاج

صلاح عبد الصبور



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



مأساة الحلاج



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

ماساة الحلاج

صلاح عبدالصبور

الغلاف
للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعي والفني
محمود الهندي

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلي

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مأساة الحلاج

صلاح عبدالصبور

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة اهم من الثروة واهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية اطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

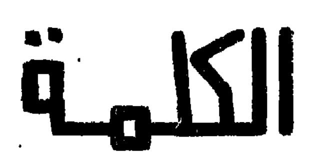
وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الاهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وايضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما انتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من اهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق باسعار رمزية اثبتت التجربة ان الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على ان ياخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم اصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الجزء الأول



المنظر الأول

الساحة فى بغداد . فى عمق المشهد الأيمن جذع شجرة يتعامد عليه فرع قصير منها . لا يوحى المشهد بالصليب التقليدى . بل بجذع شجرة فحسب . معلق عليه شيخ عجوز . تضىء مقدمة المسرح ليبرز ثلاثة من المتسكعين .

التاجر : انظر .. ماذا وضعوا فى سكتنا

الفلاح : شيخ مصلوب
ما أغرب ما نلقى اليوم

الواعظ : يبدو كالغارق فى النوم

التاجر : عيناه تنسكبان على صدره

الواعظ : وكأن ثقلت دنياه على جفنيه
أو غلبتـه الأيام على أمره

التاجر : فحنا الجذع المجهود ، وحدق فى الترب

الواعظ : ليفتش فى موطىء قدميه عن قبره

أجعلها فى الجمعة القادمة

موعظتى فى مسجد المنصور

« تضىء مقدمة المسرح اليمنى ، حيث نجد فيها مجموعة من الناس يتقدمهم مقدمهم »

فلنسأل هـذا الجمع ...

يا قـوم ...

« يتقدمون نحوه خطوة فى حركات بليدة »

من هـذا الشيخ المصلوب ؟

مقدم المجموعة : أحـد الفقراء

الواعـظ : هل تعرف من قتـله ؟

المجموعـة : نحن القتـله

الواعـظ : لكنكمو فقراء مثـله

المجموعـة : هـذا يبدو من هيئتنا

مقدم المجموعة : انظر .. انى أعمى

أتسول فى طرقات الكرخ

واحدمنالمجموعة : « يتقدم خطوة . وهو يتحدث وكأنه يقدم نفسه ، ثم يتراجـع بعد أن يتم كلمتـه . ويتكرر هذا مع كل منهم »

وأنا قراد

آخـــر : وأنا حداد

ثالـــث : وأنا حجام

رابـــع : وأنا خدام فى حمام

خـــامس : وأنا نجار

ســادس : وأنا بيطار

التـــاجر : هل فيكم جلاد ؟

المجموعـــة : « تتبادلون النظر، ثم يقولون فى صوت واحد »

لا .. لا ..

التـــاجر : أبأيديكم ... ؟

المجموعـــة : بل بالكلمات

التـــاجر : « ضاحكا ، وناظرا الى زميله »

قتلوه بالكلمات ...

ها .. ها .. ها ..

مقدم المجموعة : أقتلناه حقا بالكلمات ... ؟

لا ندرى ، واليكم ما كان
فى هــذا اليوم ...

المجموعـــــة : صفونا .. صفا .. صفا
الأجهر صــوتا والأطول
وضعوه فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
وضعوه فى الصف الثــانى
أعطوا كلا منا دينارا من ذهب قانى
براقا لم تلمسه كف من قبل
قالوا : صيحوا .. زنديق كافر
صحنا زنديق .. كافر
قالوا : صيحوا فليقتل انــا نحمــل دمه فى رقبتنــا
فليقتل انــا نحمل دمه فى رقبتنا
قالوا : أمضــوا فمضينا
الأجهر صــوتا والأطول
يمضى فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
يمضى فى الصف الثــانى
((مع الفاظهم الاخيرة يخرجون من المسرح))

التــــاجر : هــل أدركنــا شـيئا

« يضيء جانب آخر من المسرح ، وتبدو منه ، مجموعة من الصوفية »

الواعــــظ : لا ، أنــا لم أفهم

الفـــــلاح : فلنسأل هــذا الجمع

من أنتم ••• ؟

مجموعة الصوفية : نحن القتــلة

أحببنــاه ، فقتلنــاه

الواعــــظ : لا نلقى فى هذا اليوم سوى القتله

ولعلكم أيضــا حين قتلتم هـــذا الشيخ المصــلوب

المجموعـــة : ••• قتلناه بالكلمــات

الفـــــلاح : زاد الأمر غرابه !

المجموعـــة : أحببنــا كلمــاته

أكثر مما أحببنــاه

فتركناه يموت لكى تبقى الكلمات

التـــاجر : من أنتم ؟

المجموعـــة : أصحاب طريق مثله

الواعـــــظ : هل خفتم لمـا صاح الفقراء
فنكرتم أمره ؟
المجموعـــة : خفنا .. لا .. لا ..
لا يخشى الموت سوى الموتى
أنفذنا ما أوصانا به
الواعـــظ : أوصـاكم به .. ؟
مجموعة الصوفية : كنا نلقاه بظهر السوق عطاشا فيروينا ..
من مـاء الكلمـات
جوعى ، فيطاعمنـا من أثمـار الحكمـة
وينادمنا بكئوس الشوق الى العرس النورانى
الواعـــظ : عجبـا لا أفهـم !
« ملتفتـا الى زميليـه »
هل تفهم أنت .. وأنت ؟
« يهـزان رأسـيهما »
مقدم المجموعة : لا تبغ الفهم ... اشعر وأحس
لا تبغ العلم ... تعرف
لا تبغ النظر ... تبصر

هــذى كانت كلمــاته

الواعـــــظ : كلمات تدعوكم أن تتخلوا عنه

مقدم المجموعة : كان يقول :

اذا غسلت بالدماء هامتى وأغصنى

فقد توضأت وضوء الأنبياء

كان يريد أن يموت ، كى يعود للسماء

كأنه طفل سـماوى شريد

قد ضل عن أبيه فى متاهة المساء

كان يقول :

كأن من يقتلنى محقق مشيئتى

ومنفذ ارادة الرحمن

لأنه يصوغ من تراب رجل فان

اسـطورة وحكمـة وفكره

كان يقول :

ان من يقتلنى سيدخل الجنان

لأنــه بسيفه أتم الدوره

لأنه أغاث بالدما اذ نخس الوريد

شجيرة جديبة زرعتها بلفظى العقيم

فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان .
مثمرة تكون فى مجاعة الزمـــان
خضراء تعطى دون موعد ، بلا أوان
وحينما أسلمه السـلطان للقضاه
ورده القضـــاة للسلطان
ورده السـلطان للسجان
ووشيت أعضاؤه بثمر الدمــاء
تم له ما شـــاء
هل نحرم العـــالم من شهيد ؟
هل نحرم العـــالم من شهيد ؟

الواعـــــظ : أو لم يحزنكم فقده .. ؟

المجموعـــة : أبكانا أنـا فارقنـاه
وفرحنا حين ذكرنا أنـا علقناه فى كلماته
ورفعناه بهـا فوق الشجره

أفراد المجموعـة : وسنذهب كى نلقى ما استبقينا منها
فى شق محاريث الفلاحين
ونخبئها بين بضاعات التجار

ونحملها للريح السواحة فوق الموج
وسنخفيها فى أفواه حداة الابل ...
الهائمة على وجه الصحراء
وندونها فى الأوراق المحفوظة بين
طوايـا الثوب
وسنجعل منها أشعارا وقصائد

المجموعــة : قل لى .. ماذا كانت تصبح كلماته
لو لم يستشهد ؟

« يغادرون المسرح مع الأبيـات الأخـيرة من اول » :

« وسـنذهب ... »

« يدخـل من خلف الشـجرة شيخ فى يـده وردة »

التـاجر : من هـذا ؛

الواعـظ : هذا الشبلى .. شيخ الزهاد
كان له اقطـاع فى قريتنا
وتخلى عنه لكى يمضى فى طرق الصوفيه
فلننظر ما يفعل

الفـلاح : قد نعرف عندئذ ما القصه

الشـــــبلى : يا صاحبى وحبيبى

« أو لم ننهك عن العالمين »

فمـــا انتهيت

قد كنت عطرا نائما فى وردته

لم انسـكبت ؟

وردة مكنونة فى بحرها

لم انكشـفت ؟

وهل يساوى العالم الذى وهبته دمك

هـذا الذى وهبت ؟

سرنا معا على الطريق صاحبين

أنت سـبقت

أحببت حتى جـدت بالعطـاء

لكننى ضننت

حين رأيت النور تقت للرجوع

ها أنت قـد رجعت

أعطيك بعض ما وهبت للحياة ..

بعض ما أعطيت

« يلقى اليه وردة حمراء »

ربــاه لا أستطيع أن أمد ناظرى
يجول فى روحى وفى خواطرى
لو كان لى بعض يقينك
لكنت منصــوبا الى يمينك
لكننى استبقيت حينما امتحنت عمرى
وقلت لفظا غامضــا معناه
حين رموك فى أيدى القضــاه
أنــا الــذى قتلتــك
أنــا الــذى قتلتــك

« **يخــرج** »

الفـــــلاح : عجبا لم ندرك شــيئا

التـــــاجر : لن ترضى زوجتى عنى الليلة

الواعـــــظ : ضاعت عظتى الا أن أتبع هــذا الشيخ الطيب فيحدثنى بالقصــة

يا شيخ ... ما القصة ... ما القصة ...
من قاتل هذا الرجل المصلوب ؟ ..
هل ندركه ، فيحدثنا .. ؟

« **ينطلقون خلفــه** »
(**ســـــتار**)

المنظر الثـانى

« بيـت الحـلاج »

« الحلاج وصديقه الشبلى يتحدثان ، وقد ارتدى كل منهما خرقة الصوفيـة ، شيخان فى أواخر العمر »

الشـــبلى : ... يا حـلاج ، اسمع قولى
لسنا من أهـل الدنيا ، حتى تلهينا الدنيـا
أسرعنا لله الخطو العجـلان ، فلمـا أضنانا
الشـوق الظمـآن
طرنـا بجنـاحين
ولمسنا أهـداب النور
هل نبصر عندئذ من قلب غمامتنا الفضـيه
الا أشباحا حائلة تذوى فى وهج العرفـان
وظلالا زائلة لا تمسكها الأجفان.

الحـــلاج : لكن .. يا أخلص أصحابى ، نبئنى ...

كيف أميت النور بعينى
هذى الشمس المحبوسة فى ثنيات الأيام ؟
تثاقل كل صباح ، ثم تنفض عن عينيها النوم
ومع النوم ، الشفقه
وتواصل رحلتها الوحشية فوق الطرقات
فوق الساحات ، الخانات ،المارستانات ،
الحمامات
وتجمع من دنيا محترقه
بأصابعها الحمراء النارية
صورا ، أشباحا ، تنسج منها قمصانا ،
يجرى فى لحمتها وسداها الدم
فى كل مساء تمسح عينى بها
توقظنى من سبحات الوجد
وتعود الى الحبس المظلم
قل لى يا شبلى
أأنا أرمد ؟

الشبلى : لا ، بل حدقت الى الشمس
وطريقتنا أن ننظر للنور الباطن

ولذا ، فأنـا أرخى أجفانى فى قلبى
وأحـدق فيه ، فأسـعد
وأرى فى قلبى أشجارا ، وثمارا
وملائكة ، ومصلين ، وأقمارا
وشموسا خضراء وصفراء وأنهارا
وجواهر من ذهب ، وكنوزا ، من ياقوت
ودفـائن وتصـاوير
كل فى أعلى سـمته
أو فى أبهى هيئاته

الحــلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب
لم نور ربى قلبـك ؟

الشــبلى : هـذا حالى يا حـلاج
لن تحسدنى ومعاذ أخوتنا أن يخطر فى بالك
أن تحصى ما يلقى عبد من نعمة مولاه
لكن لا تسألنى أيضا ••• ما يدرينى ؟
أحوال الصـوفيين مواهب

الحــارس : لا ، انى أشرح لك

لم يختار الرحمن شخوصا من خلقه
ليفرق فيهم أقباسا من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتل
ويفيضوا نور الله على فقراء القلب
وكمـا لا ينقص نـور الله اذا فاض على
أهـل النعمـة
لا ينقص نـور الموهـوبين اذا ما فـاض
على الفقراء

الشـبلى : لا ، يا حـلاج
انى أخشى أن أهبط للناس
قد أبسط أجفانى فوق الدنيا
فأرى ، يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى
وأرى عسراها ، أتوقى العسرى
ويموت النور بقلبى

الحـلاج : هبنا جانبنا الدنيـا
ما نصنع عندئذ بالشر ؟

الشـبلى : الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

الحـــــلاج : فقر الفقراء

جوع الجوعى ، فى أعينهم تتوهج ألفــاظ
لا أوقن معناها

أحيانا أقرأ فيهــا
« ها أنت ترانى
لكن تخشى أن تبصرنى
لعن الديــان نفاقــك »
أحيانا أقرأ فيهــا
« فى عينــك يذوى اشـــفاق ، تخشى أن
يفضــح زهــوك
ليسامحك الرحمن »
قد تدمع عينى عندئذ ، قد أتألم
أما ما يملأ قلبى خوفا ، يضنى روحى فزعا
وندامــه

فهى العين المرخــاة الهدب
فوق استفهام جــارح
« أين الله » ... ؟

والمسجونون المصفودون يسوقهمو شرطى
مذهوب اللب
قد أشرع فى يده سوطا لا يعرف من فى
راحته قد وضعه
من فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه
ورجال ونساء قد فقدوا الحرية
تخذتهم أرباب من
دون الله عبيدا سخريا
يا شبلى
إلشر استولى فى ملكوت الله
حدثنى .. كيف أغض العين عن الدنيا
الا أن يظلم قلبى ؟

الشبلى : مهلا .. مهلا
بل أنت الآن على حافة أن يظلم قلبك

الحلاج : لا ، بل انى أتنور من رأسى حتى قدمى

الشبلى : صمتا ، واليك جوابك كى ترتد الى نفسك
هل تسألنى من ذا صنع الفقر ؟
من ألقى فى عين الفقراء ؟

كلمـــات تفزع من معناها
واليك جواب ســؤالك .
الظــلم ...
هل تسألنى من ذا صــنع القيــد الملعون ،
وأنبت سوطا فى كف الشرطى ؟
واليك جواب ســؤالك :
الظــلم
هل تسألنى من ذا صنع الاستعباد ؟
الظــلم ...
لكننى ألقى فى وجهــك
بســؤال مثل ســؤالك
قل : من صــنع الموت ؟
قل : من صنع العلة والداء ؟
قل : من وســم المجذومين ؟
والمصروعين ؟
قل : من ســمل العميان ؟ .
من مد أصابعه فى آذان الصم ؟
من شــد لسان البكم ؟

من ســود وجه السود ؟
من صفر وجه الصفر ؟
من ألقانا فى هذى الدنيا مأسورين
لنغص بمشربنا ، ونشاك بمطعمنا
تتنفس أبشع رائحــة مصاعدة من رجـع
حلوق الموتى
الموتى الأحياء المقتولين القتلة
الكذابين الخوانين ، لصــوص الأطفــال
ومنتهكى الحرمات ، وتجار الدم
وزنــاة الليل وقوادى القرباء
وجبــاة بيوت المــال
ومرابيى الأسواق وبياعى الخمر
من ألقانا بعد الصفو النورانى
فى هذا المــاخور الطافح
من .. من .. ؟
الحـــــلاج : لا .. لا .. لا أجرؤ
أتريد تقول ..
لا .. لا ..

لا تملأ نفسى شكا يا شبلى

الشبلى : بل انى أملأها علما ويقينا
يا حلاج
الشر قديم فى الكون
الشر أريد بمن فى الكون
كى يعرف ربى من ينجو ممن يتردى
وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه
فاذا صادفت الدرب فسر فيه
واجعله سرا ، لا تفضح سرك

الحلاج : يا شبلى
دعنى أتأمل فيما قد قلت الآن
ها أنت تزلزلنى فى دارى
والسوق يزلزلنى ان أترك دارى
كلماتك تجذبنى يمنه ...
وعيونى تجذبنى يسره ..

((مناد ينادى بالخارج))

ابراهيم : هل أدخل يا شيخى ؟

الحــــــلاج : ما أجمل خلوة روحينا يا شبلى
ما أحلى أن نتكاشف ، لكن الأيام ضنينه
ومواجـدنا لا تنفـد
فليشـــهدنا ابراهيم
هل تعرفه ، شاب من أهل الله ...

الشـــــبلى : وأحبـه

الحــــــلاج : ادخل يا ابراهيم

« يدخل ابراهيم بن فاتك ، منزعج الخـاطر مسرعا »

الحــــــلاج : ماذا تطوى فى قلبك حتى فاض على سيماك
هدىء من روعك ، فالدنيا عند الشبلى
فى خير ما دمنـا فى خير

ابراهيــــم : ما أصبحنا فى خير بعد الآن
قد كنت أزور اليوم القاضى ابن سريج
نبأنى أن ولاة الأمر يظنون بك السوء ...

الحــــــلاج : بى يا ابراهيم ؟ ..

ابراهيــــم : .... ويقولون

هذا رجل يلغو فى أمر الحكام
ويؤلب أحقـاد العامـة
ورجـائى أن أنبيك رجاءه
بالحيطـة والكتمـان

الحـــلاج : ماذا نقموا منى ؟
أترى نقموا منى أنى أتحدث فى خلصائى
وأقول لهم ان الوالى قلب الأمة
هل تصلح الا بصـلاحه
فاذا وليتم لا تنسوا أن تضعوا خمر السلطة
فى أكواب العدل ؟
أترى نقموا منى تدبيرى رأيى فى أمر الناس
اذ أشهدهم يمشون الى الموت
لكن توجههم للموت يباعدهم عن رب الموت

ابراهيـــم : زعموا أن قد أرسلت رسائل سريه
لأبى بكر المـاذرائى ، والطولونى ، ولحمد
القنـائى
وسواهم ممن يطمح للسلطه

الحـــلاج : هم بعض وجوه الأمـه
وهمو أيضا خلصائى ، أحبابى
وعدونى ان ملكوا الأمر
أن تحلو سيرتهم ويعفوا عن سقط الفعل
أن يعطوا الناس حقوق الناس على الحكام
فنجاوبهم بحقوق الحكام على الناس
هم زهرة آمالى فى هذا العالم يا ابراهيم

الشـــبلى : يا حـلاج
لا أدرى للصوفى صديقا الا نجوى الليل
وبكاء الخوف من الدنيا
وأناشيد الوجد المشبوب وآهات الذل
وفتوح المحبوب بنور الوصل
فاذا ثقلت فى جنبيه الوحده
فليلزم أهل الخرقة ، أبناء الفاقه
ممن قنعوا باليأس عن الآمـال
طرحوا الافكار ببحر التسليم
حجبوا عن أعينهم هم الرؤيـه
قرآوا ما لم تره العين

قل لى .. يا حلاج
أوثقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف
ان ولوا ظلوا أهـل موده ؟

الحـــــلاج : لا يعنينى أن يرعوا ودى أو ينسوه
يعنينى أن يرعوا كلمـاتى

الشـــــبلى : بل ما يدريـك بأنهمو ان ولوا تسـكرهم خمـر السـلطة
وبأنهمو ما التفوا حولك
الا لكراهتهم من دبر لك

الحـــــلاج : قد خبت اذن ، لكن كلماتى ما خابت
فستأتى آذان تتأمل اذ تسمع
تنحدر منها كلماتى فى القلب
وقلوب تصنع من ألفاظى قدره
وتشـد بها عصب الأذرع
ومواكب تمشى نحو النور ، ولا ترجع
الا أن تسقى بلعـاب الشمس
روح الانسان المقهور الموجع

ابراهيـــــم : مولاى

أخشى أن يدركك الكيد الظالم
مــاذا تنوى •• ؟

الحـــــلاج : ما يرضاه الرحمن لمخلوق فى صورته ، ذى
روح متصف بصفاته

ابراهيـــــم : هل يقصـــد مولاى خراسان
ويظل بها حتى يهدأ عنه السعى المحموم ؟

الحـــــلاج : خراسان •• خراسان
لينور قلبك ربى ، يا ابراهيم
أخراسان •• الجنه
كى يقصدها من أضنته الدنيا ؟
هل ثمت وصفاء بخراسان
كى يقصدها من أمرضه الظلم ؟

ابراهيـــــم : مولاى
الظلم بكل مكان
والجنة آخر سعى الانسان
لا أول ســعيه
ها أنت وحيد ، شــيخ مجهود ، أضــناك
التطـواف

في أرجاء الدنيا طلبا للفطنه
ورجعت لتلقى الحمق يسود بكل مكان
يتحرش بك ..
آلاف الحمقى .. آلاف الآلاف
أعداؤنا كثر يا مولاى ؟

الحـــــلاج : لكن صحابي أكثر من أعدائى

ابراهيـــــم : لا أبصر مخلوقا منهم يا مولاى
الا شيخى الشبلى .. وأنــا
وكلانا مسكين يتحسس خطوه

الحـــــلاج : أصحابى أكثر من أن تحصيهم يا ابراهيم
أصحابى آيات القرآن وأحرفه
كلمات المحزون المهجور على جبل الزيتون
أحياء الاموات ، الشهداء الموعودون ،
فرسان الخيل البلق ذوو الأثواب الخضراء
آلاف المظلومين المنكسرين

ابراهيـــــم : يا مولاى
فى عصر ملتاث ، قاس ، وضنين

لن يصنع ربى خارقة أو معجزة ، كى ينقذ
جيلا من هلكى
قد ماتوا قبل الموت

الحـــــلاج : يا ولدى ، كم أخطأت الفهم !
لا أطـلب من ربى أن يصنع معجـزة ، بل
أن يعطينى جلدا
كى أدرك أصحابى عنده

ابراهيـــــم : يا مولاى
خوف لا يسعفنى أن أفهم عنك
هل تأذن لى أن أذهب للمـاذرائى
استرشده فيما تفعل ؟

الحـــــلاج : بل تسأل قلبك !

ابراهيـــــم : بل ، تأذن لى ، ولك الفضل

الحـــــلاج : اذهب ، قل له
يرجوك الحـلاج
أن تحفظه فى قلبك
« يخـرج ابراهيـم »

الشـــــبلى : رجل طيب ..

ويحبـك

الحـــلاج : يقصيه هــذا عنى
أحيانا يخطىء سبل الحب
ويحب الله بشخصى

الشــبلى : مــاذا تعنى .. ؟

الحـــلاج : لو أحببنى فى الله
بدلا من حب آلهى فى
لم يفزع ، لم ينصحنى بالهجرة لخراسان

الشــبلى : هــذا حــق
لا أنصح بخراسان
قل لى يا حــلاج
هل ما اشتقت الى الحج ؟

الحـــلاج : الحج ...
هل أوقد قلبى نارا الا الحج ؟
هل أنضج قلبى الا وقد الصحراء وســعى الرمضــاء
والصــوم الى أن أغفى الجسم الناحــل فى جذع النخلة

فى أرض مدينتـــه الخضراء
ولدت كلمات الله هناك بقلبى المثقل
فأتيت بها ، طوفت بأرض الناس
عن فتنة طلعتها أنضو أطراف ثيابى شيئا شيئا
سأخوض فى طرق الله
ربانيا حتى أفنى فيه
فيمد يديه ، يأخذنى من نفسى
هل تسألنى ماذا أنوى ؟
أنوى أن أنزل للناس
وأحدثهم عن رغبة ربى
الله قوى ، يا أبناء الله
كونــوا مثـــله
الله فعول يا أبناء الله
كونوا مثله ..
الله عزيز يا أبناء الله

الشـــــبلى : خفف من غلوائك يا شيخ
فلقد أحرمت بثوب الصوفى عن الناس

الحــــلاج : تعنى هـــذى الخرقـــة
ان كانت قيدا فى أطراف

يلقينى فى بيتى جنب الجدران الصماء
حتى لا يسمع أحبابى كلمــاتى
فأنا أجفوها أخلعها •• يا شيخ
ان كانت شارة ذل ومهانه
رمزا يفضح أنــا جمعنا فقر الروح الى فقر
المــال
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
ان كانت سترا منسوجا من انيتنا
كى يحجبنا عن عين النــاس ، فنحجب عن
عين الله
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
يــارب اشــهد
هــذا ثوبــك
وشعار عبوديتنا لك
وأنــا أجفوه ، أخلعه فى مرضاتك
يــارب اشــهد
يــارب اشــهد
« يخــلع الخرقــة »
« ســـتار »

المنظـر الثـالث

« نهارا . الساحة فى بغـداد . الواعظ والتاجر والفلاح يتسكعون »

الواعـــظ : وألزم كل صاحب بيت
بأن يلقى بدينار لبيت المـال
لكى يثبت حق الملك

الفـــلاح : وهل أثبت حق الملك للقصرين فى بغداد
وللبيت المشيد فى نواحى الكرخ ؟

الواعـــظ : سؤالك ساذج اذ دار فى ذهنك

التـــاجر : وجهرك بالسؤال يدل أنك ساذج صغير

الواعـــظ : ولو جاوبت أو علقت كنت الساذج الأكبر

التـــاجر : يقال بأن بعض وجوه أهل الفضل
سعوا فى القصر حتى يستتب العدل

الفـــــــلاح : وهل هم أهل عدل فى ضياعهسو وثروتهم
مع الخدام والأتباع والأجراء والغلمان

الواعــــــظ : ســؤال ساذج ثان

التــــــاجر : اذن ، فالكون قد قام على العدوان
ولا جدوى ، فما فى الوسع الا الاحتيـال
عليـه
وأن ندعو رب العرش أن يصرفه عنا

« يميلون الى جهة من المسرح ويدخل ثلاثـة آخـرون أحـدب واعرج وأبرص ، وهم من افراد المجموعـة الذين ظهـروا فى المشـهد الأول » .

الأحـــــــدب : نعم ، انى أحب الشيخ
ولكن أسـائل نفسى الحيرى
تـرى يسـطيع أن ينصب ظهـرى بعـد
ما أحـدب ؟

الأعـــــــرج : أحس اذا سمعت حديثه الطيب
بأنى قادر أن أثنى الساق ، وأن أعدو ،
وأن ألعب

بلى ، فلقــد أحس بأننى طــير طليــق فى
سـماواته
ولكنى اذا فارقت محفله تبدت لى
ظــلال الشــك فى حــالى
وعدت أجر ساق العجز ، يعرج خطوهـا
المتعب
على دقات ساق الفقر والاملاق

الأبــــرص : كأن الشمس حين آراه قد سمعت ضراعاتى
وقــد صبغت مذلاتى
وصرت أجوس فى الطرقات مختالا ، نضير
الوجه وردى الذراعين
بلا سوء ولا وسم بسيمائى
ولكنى اذا فارقته للمت ثوبى فوق أعضائى
ولذت بستر مسغبتى واعيائى وأدوائى

« يميلون الى جهة ثانية من جهات المسرح »

« يدخل ثلاثة من المتصوفين »

الأول : ولكن شيخنا قد خلع الخرقة

الثــــانى : وهبه خــلع الخرقــة ..

ترى هل خلع القلب الذى وسد فى الخرقه ؟
أو الله الذى يحيا بهذا القلب ؟

الثـــــالث : ولكن تلك شارتنا ، ورتبتنا التى نزهى
بها ، ونحس أنــا حين نلناها
خلعنا الكون ، قصصنا جناحى توقنا النزاع
نذرنا نفسنا للحج ، أحرمنا للقيا النور
فان أسعفنا الحـال ، ونلنا ما تمنينا
فذلك حظنــا الموفــور
طاب البحر والرحـلة والمرفـأ
وكان البيرق المنشـــور
رايتنا ، لواء سفيننا .. الخرقه
وان عاندنا التيار ، واستعصى على النوتى
ادراك الطريق ، تملس النجم السماوى
وأخفى وجهه الفجر ، وأرخى ستره الديجور
وضل الركب والملاح بين الموج والأنواء
ومتنا ، وانطفت أعيننا الجوفـاء
وحلم النور فوق زجاجها المكسور

فيكفى الننا متنا ، وكفنا برايتنا
كمثل مجاهد مستشهد مقهور

الثـــانى : وهل تمنعنا الخرقة أن نأبه للظلم
وأن نثبت للظـالم
وأن ندفع كيد الشر عن أحبابنا الضعفاء ؟
أما أبصرت بعض السالكين تنعموا بالثوب
وحين استشرفوا للزهد ، وانخلعوا عن اللذة
تشهوا لذة أخبث من كل اللذاذات
تشهوا لذة الانكار للآلام والبشر
وأن يمشوا خفاف الخطو مطويين فوق النفس
وحين تحدثوا استخفوا ورا الخرقه

الثـــالث : تقول الحق ، لكني أخشى ان خلعناها
بأن نصبح كالناس ، نجادل فى أمورهم
ونركب متن دنياهم ، ونسترضى رءوسهم
وللغو فى سياستهم ، وندنو من سفيههم
وقد تبتل أيدينا بوبل من شرورهم
وقد يفسد قربهمو الذى نلنا ببعدهم

الأول : هنا ، توقفنى الحيرة عن أن أقطع الأمرا .
فماذا لو طرحنا همنا للشيخ حين يجىء
وهــذا وقت أوبته من المسجد
« ينتحــون جانبــا »
« صوت الحلاج من اقصى المسرح »

الحـــــلاج : الى الىّ يا غرباء .. يا فقراء .. يا مرضى
كسيرى القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتى
الى الى
لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا
الى الى ، أهديكم الى ربى
وما يرضى به ربى
« يتجمع الناس ويدخل ثلاثة آخرون ، يبدو عليهم التربص . ملابسهم موحــدة ، ويبدو انهم من الشرطــة ، يعــرف ذلك من عيونهم وتهامسهم وقربهم من بعضهم البعض »

التــــاجر : من هــذا الشيخ الصــارخ

الفـــــلاح : يهدينا ــ فيما يزعم ــ لله
شيخ مجذوب ، كم نلقى من أمثاله

في سـوق الشحاذين

التـاجر : هيا نـذهب

فلقد خلفت ابني في دكاني

وهو ضعيف العقل

ان جاءته جارية حسناء

أعطاها ما قيمته خمس قطع

بثلاث أو أربع

الفـلاح : وأنـا قد بعت الحنطة في السوق اليوم

وأريد العودة لعيالي في ظاهر بغداد

بالمـال سليما قبل الليل

لو أبطأت لقادتني رجلاي

للخمارة حيث أذيب نقودي

في كأس أو أدفنها في تكة سروال

الواعـظ : جازاك الله ، فما قلتـه

قد ألهمني عظة الأسبوع القادم

ما أحلاها من موعظة مسبوكة

عن فلاح باع الحنطة في السوق

أغـواه الشـيطان
فزنا بالمـال ، وعـاد ليلقى الصبية جوعى
فبكى .. و .. و ..
وسيلهمنى الله الباقى
وسأجعل عبرتها ونهايتها
احـذر كيد النسـوان

((يخرجـون))

((صوت الحلاج يرتفع ، وخطواته تتقدم ، والجمع يتحلق حوله))

أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره
فأبدع من أثير القدرة العليا مثالا ، صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وجلاه ، وزينه ، فكان صنيعه الانسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فان تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
الى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وان تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا

ويهجرنـــا ، ويجفونـــا ..
وماذا يفعل الانسان ان جافاه مولاه ؟
يضيق الكون فى عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس فى عينيه أذرعـــة من النيران
يلقى ثقلها المشاء
على وجه السما والأرض ألوانا من اللهب
ويضحى البدر دائرة مهشـــمة رماديـــه
من القصدير ميتة وملقاة على بيداء
فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجهضة تكفن عارها فى الطين
ويمشى القحط فى الأســـواق ، يجبى جزية
الأنفـــاس
من الأطفـــال والمرضى
حقيبته بلا قـــاع ، فلا تملأ اذ تعطى
ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل
وخلف القحط يمشى تحت ظل البيرق المرسل
جنود القحط ، جيش الشر والنقمـــة

خلائقهم مشوهة ، كأن الذيل فوق الراس
يقود خطاهمو ابليس،وهو وزير ملك القحط
وليس القتل والتدجيل والسرق
ولبس خيانة الأصحاب والملق
وليس البطش والعدوان والخرق
سوى بعض زعايا القحط ، جند وزيره ابليس
تعالى الله ، قد يأنف أن ينظر فى مرآتنا ذاته
فيصرف وجهه عنا
فكيف اذن نصفى قلبنا المعتم ؟
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نصلى .. نقرأ القرآن
نقصد بيته ، ونصوم فى رمضان
نعم ، لكن هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان
وربى قصده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل ، ان عشقت ألست تبغى أن تكون
شبيه محبوبك

فهــذا حبنــا لله
أليس الله نــور الكون
فكن نــورا كمثل الله
ليستجلى على مرآتنا حسنه

شـــــرطى : ((مقاطعـــا))
ولكن شيخنا الطيب ، هل ربى له عينان
لكى ينظر فى المرآة ؟

الحـــــلاج : ولكن ولدى الطيب ، هل قفل على قلبك
حتى ينطق القرآن
« أم على قلوب أقفالها » ؟

شرطى آخـــر : أجدت الرد ، كيف اذن تظن الله
بلا نعت ولا تشـــبيه ؟

الحـــــلاج : أظن الله ، كيف ، ونوره المصباح
وظنى كوة المشـــكاه
وكونى بضعة منه تعود اليه

الشـــــرطى : اتعنى أن هـــذا الهيكل المهـــدوم بعض منه
وأن الله جل جلاله متفرق فى الناس ؟

الحـــــلاج : بلى ، فالهيـــكل المهـــدوم بعض منـــه ان
طهـــرت جوارحـــه
وجل جلاله متفرق فى الخلق أنوارا بلا تفريق
ولا ينقص هذا الفيض أدنى اللمح من نوره

شرطى ثالث : فأنت اذن آله مثله ما دمت بعضا منه ؟

الحـــــلاج : رعاك الله يا ولدى ، لمـــاذا تستثير شجاى
وتجعلنى أبوح بسر ما أعطى
ألا تعلم أن العشق سر بين محبوبين
هو النجوى التى ان اعلنت سقطت مروءتنا
لأنـــا حينما جاد لنا المحبوب بالوصل تنعمنا
دخلنـــا الستر ، أطعمنا وأشربنـــا
وراقصنا وأرقصنا ، وغنينا وغنينا
وكوشفنا ، وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدنا
فلمـــا أقبـــل الصبح تفرقنـــا
تعاهدنا ، بأن أكتم حتى أنطوى فى القبر

الشــــــرطى : كفى ، يا شيخ هذا القول عين الكفر ..

الحـــــلاج : عين الكفر .. ويلك .. هذا القول لى ،
فاســـمع

وان كنت سألقى الهول لو كشفت وجه السر
أجل لا ، بل ويلتى جرجرت من زهوى الى
حتفى
ولكن .. كيف .. هل أترك هـذا اللفظ
ملقى فوق أثوابى ؟
اذن ، فاسمع ، وقل فى الأمر ما ترضاه
لقد أحببت من أنصف
فأعطـانى كمـا أعطيت

الشـــرطى : يا أهل الاسلام .. هذا شيخ زنديق

شـرطى ثـانٍ : فلنأخـذه للسـجن

شرطى ثالث : هيا .. يا كافر

أحد الصوفية : لا .. يا قـوم
هـذا سكر الصـوفيه
فاض القلب فعربد
غلب الوجد القصد

الشـــرطى : هـذا لغو أجـوف
فلنحم الدين من الكفرة

صـــــوفى : « للمجتمعين. »
يا قـوم
هذا الشرطى استدرجه كى يكشف عن حاله
لكن هل أخذوه من أجل حديث الحب ؟
لا ، بل من أجل حديث القحط
أخذوه من أجلكمو أنتم
من أجل الفقراء المرضى ، جزية جيش القحط

الأعـــــرج : هذا حق فالشرطة خدام السلطان
ما للشرطة والحب
فلنطلقه من أيديهم
« ضجـة وتلويح بالأيدى توشـك ان تصبح مقتـله »

الحـــــلاج ، لا ، يا أصحـابى
لا تلقوا بالا لى
أستودعكم كلمـاتى
عودوا .. عودوا ..
ودعونى حتى تنفذ فى بدنى
لتؤدبنى

ألفاظ عتاب المحبوب النارية

الأبـــــرص : « لأحد الصوفية »
مـــاذا قـــال ؟

الصـــــوفى : مازال بحـــال الوجد ..
يتحدث من قلبه

الشـــــرطى : يا قـــوم
الشيخ أقر بجرمه
فدعوه يمضى ليؤدب
يا شـــيخ ..
هل أقررت بجرمك ؟

الحـــــلاج : هـــذا حق يا ولدى ..
فلقد أجرمت بحقـــه
اذ أفشـــيت السر

الشـــــرطى : أســـمعتم ! ..

الحـــــلاج : عاقبنى يا محبوبى انى بحت وخنت العهد
لا تغفر لى ، فلقد ضاق القلب عن الوجد
لكن عاقبنى كعقاب الخصم خصيمه
لا كعقاب المحبوب حبيبه

لا تهجرني ، لا تصرف عني وجهك
لا تقتل روحي بدلالك
اجعل بدني الناحل أو جلدي المتغضن
أدوات عقــابك

« يتقدم الحــلاج امام الشرطة كأنه يقودهم ، والجمع يتبعه ، وحين يشارف نهاية المسرح يرتفع صوت احد الصوفية » .

الصـــــوفي : هل نتركه للشرطة ؟

صــوفي آخــر : هــذا ما أوصانا به

« يخرج الصــوفية وهم يرددون ، هــذا ما اوصانا به »

الأبــــرص : مــاذا تفعــل ؟..

الأحــــدب : ما رأيــك أنت ؟

الأعــــرج : هل نتبعهم لنرى ما يحدث ؟

« يخرجون وهم يرددون ، لنرى ما يحدث »

« يدخل الواعظ مسرعا من اقصى المسرح ، فيدرك الاعرج وهو يتبع زميله »

« للاعرج ، وهو يشد قميصه » يا هذا ..

ماذا كان هنا منذ هنيهه ؟
فلقد جلبتنى أصـداء الضجه

الأعـــرج : أخـذته الشرطة ..
الواعــظ : من ؟
الأعـــرج : الرجـل الطيب
الواعــظ : ولمـاذا ؟ ..
الأعـــرج : قد كان يحدثنا بحديث القلب
لم يستطع الكتمان ، فباح
دعنى أمضى
« يشد قميصه ، وينطلق »
الواعــظ : « وحده على المسرح » باح ..
بم باح ، لكى تأخذه الشرطة ؟
لا أدرى ، وعلى كل فالأيام غريبه
والعاقل من يتحرز فى كلماته
لا يعرض بالســوء
لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض
أو وال أو محتسب أو حاكم

(ســتار)



الجــزء الثــانى

المــــوت

المنظر الاول

« سجن مظـلم ينفتح بابه ليدخـل منه الحلاج يدفعه حارس »

الحــــارس : أدخل يا أعدى أعداء الله

الحــــلاج : ليسامحك الله ، فقد أعطيت الحلاج المسكين أعلى من قــدره

الحــــارس : أدخل ، لا تكثر فى القول

ولتجلس بين رفيقيك

« يدخل الحلاج فلا يكاد يبصر شيئا فى الظلمة القاتمـة »

الحــــلاج يا صاحب هــذا البيت

هب ضيفك نورا حتى يكشف موضع قدميه

أو كحل بسنا ذاتك عينيه

يا صاحب هــذا البيت

السجين الأول : « هامسا لرفيقه » هذا رجل مأفون
يتوهم أنـا جئنا فى مأدبة أو حفل

الحـــــلاج : نورا يا صاحب هذا البيت ..

السجين الثانى : أطلب من حارسنا الطيب مصباحا أو شمعة

السجين الأول : « لرفيقه هامسا » لا يدرى أنـا فى قـاع السـجن

السجين الثانى : لسنا فى قصر الوالى

السجين الأول : أو بيت القاضى

السجين الثانى : أو فى خمارة شط الكرخ

الحـــــلاج : يا صاحب هـذا البيت
قد أبطـأ عن عينى نورك
ان كنت ترى أن أستهدى بالظن
فقد خطواتى

السجين الأول : فليرجو حارسنا الطيب
أن يمسك كفيه بحنان
ويقود خطاه حتى يلقيه
فى ظل الحـائط

ودعــا بوزير القصر فأطعمه وأنامه

فتحلب ريق وزير القصر

واستصفى ماله

السجين الثانى : ورماه فى السجن

الحـــــلاج : يا صاحب هــذا البيت

شكرا ، لم يبطىء نورك

عليكما الســلام ، سيدى

السجين الأول : وعليــك ..

« وهو يجلس فى ركن قريب يتمتم ، ثم يعلو صــوته »

.. وباسمك اللهم كانت هجرتى ، وسارت الأقـــدام

بارك لنا اللهم فى الدخول والمقام

السجين الثانى : « هامسا » عرفتــه

من ذقنه ، وتمتماته ، ولحيته

وذكره اسم الله فى مفتتح الكلام

السجين الأول : ومن يكون ؟ ..

السجين الثانى : قصاص مسجد الرصافة
ذاك الذى ــ فيما رووا ــ قد كان
يؤاخذ الجار بذنب الجار

السجين الأول : ماذا عنيت ؟

السجين الثانى : يطعن ان حركه الغرام
احبابه فى الظهر

السجين الأول : «ضاحكا» آه ، تعنى ابن بقين ..لا..لا..
بل انى أعرف من تعنيه
لا يشبه هــذا الشيخ

السجين الثانى : هل تعرفه معرفة طيبة حقا ؟
يا ويلى ، كيف ترى أغفو جنبك
فلتعلم أنى مهر لم يركب أو يركب
لا بأس بأن أركب
لكنى لا أركب
« يتحرك نحو صاحبه »

السجين الأول : صـــه
لا تهزر فى هذا أو أهشم رأسك

السجين الثانى : رأسى .. من أنت لتهشم رأسى
السجين الأول : لا تعرفنى حتى الآن
هه .. خذ كى تعرفنى
« يعاجله بضربة ، فيمسك الثانى بقدمه ويلويها »
السجين الأول : أطلق قدمى ستكسرها .. سأنادى الحارس
السجين الثانى : لا .. حتى تجعلنى أركب
السجين الأول : أطلق قدمى .. يا حارس .. هذا وحش مجنون
الحلاج : « يتقدم منه ويرجوه »
يا ولدى أرجوك
أطلق قدمه
السجين الثانى : من أجلك يا مولانا القا ..
قل لى .. قاض أنت ؟
الحلاج : قاض .. لا يا ولدى
السجين الثانى : أمعلم مسجد ؟
الحلاج : لا .. كيف أعلم
وأنا لا أعلم

السجين الأول : « وهو يقترب منه هامسا »
من أنت اذن ؟

الحـــلاج : اسمى الحلاج حسين بن المنصور

السجين الثانى : مـــاذا تعمـــل ؟

الحـــلاج : أتأمل يا ولدى

السجين الأول : شـــاعر ؟

الحـــلاج : أحيـــانا

السجين الأول : هل تقرأ فى كتب القدماء ؟

الحـــلاج : أحيانا

السجين الأول : هل تبحث فى أسرار الكون ؟

الحـــلاج : بل أشـــهدها أحيانا

السجين الأول : مجذوب أنت ؟

الحـــلاج : دوما نحو النور

السجين الأول : هل أنت ولى ؟

الحـــلاج : لا بل مولى
وليى ووليك يشهد

« يتبادل السجينان النظر ، ويهمان ثم يتوقفان ، وبعد برهة ينطلقان فى واحـــد »

السجينـــان : ولمــاذا لا تسألنا من نحن ؟

الحـــــلاج : أصحابى فى دار الهجره

السجين الأول : ما معنى هــذا ..

الحـــــلاج : عشنا حينا فى دار الخوف

تتكتم بين الأضــلاع

سرا نخشى أن تسرقه الأسماع

لكن المسك انسكب بقلب الحلاج وذاع

فخرجت الى دار الهجره

السجين الأول : هــذا رجل طيب

يلقى لفظا لا أدرى معناه

لكنى أشــعر به

السجين الثانى : هذا رجل مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل رجل طيب

وونى من أهل الله ، وان أنكر

السجين الثانى : اسكت يا أحمق

هذا رجل دجال مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل أنت الدجال المسلوب العقل

السجين الثانى : أنت غبى أحمـــق

السجين الأول : بل أنت عنيد كالبغل

السجين الثانى : بل أنت حمار ينقصه برذعة ولجام

عفوا ، هذى برذعتك

وذراعاى لجامك

هيا احملنى للقصر الأبيض

كى أمدح مولانا والى الشام

بمعلقة من قافية اللام

وأعود بمهر وفتاة وغلام

حا .. حا .. حا .. « يمتطيه فوق كتفيه »

السجين الأول : دعنى .. أو ألقيك الى الأرض

فأهشـــم أضـــلاعك

السجين الثانى : لن تقدر ، قد أحكمت لجامك

« يلف ذراعية بعنف حول رقبته »

السجين الأول : دعنى يا مجنون

انك تخنقنى .. انى سأموت

السجين الثانى : فلينتص عندئذ عدد رعية مولانا جحشا

السجين الأول : أنقذنى يا حارس

يا حارس •• يا حارس •• يا حارس

« يعمل القفل فى الباب ، ثم يدخل الحارس ، فيلزم كل منهما مكانه متضائلا »

الحــــــارس : من صانع هــذى الضجة ؟

« للسجين الأول »

أنت

السجين الأول : لا ، يا مولاى الوالى

لم أنبس بنت شفه

فأنا أخشى غضبك

وأنزه هذا السمع المرهف

عن صوت السفلة من أمثالى

« يربت الحارس عليه ، ثم يتجه للثانى »

الحــــــارس : هو أنت ••

السجين الثانى : لا يا ســيد

فأنا أعرف أحكام الحبس

« الحارس يضع يده على جبهته متأملا ، ثم ينظر للحلاج ويقول »

الحـــــارس : فهو الثالث لابد
هذا أمر .. بالعقل
أنت الصــارخ

الحـــــلاج : لا يا ولدى
بل كنت أحدث نفسى فى صوت خافت

الحـــــارس : خافت .. يا كذاب ؟

الحـــــلاج : لا أكذب يا ولدى قط

الحـــــارس : وتناقشنى أيضا يا كذاب ؟

الحـــــلاج : لا تشتمنى يا ولدى
فالسب خطيئة

الحـــــارس : كذاب .. وفقيه !
خـــذ

« يضربه بالسوط ، والحلاج هادىء مبتسم ، يلم ثوبه »

« يزداد الشرطى عنفا ، وتتلاحق ضرباته ، ثم يهتف بالحلاج ، وقد ضاق بهدوئه »

الحـــــارس : لم لا تصرخ ؟

الحلاج : هل يصرخ يا ولدى جسد ميت ؟

الحارس : اصرخ .. اجعلنى أسكت عن ضربك

الحلاج : ستمل وتسكت يا ولدى

الحارس : اصرخ .. لن أسكت حتى تصرخ

الحلاج : عفوا يا ولدى ، صوتى لا يسعفنى .

الحارس : قلت اصرخ .. أنت تعذبنى بهدوئك

الحلاج : فليغفر لى الله عذابك

أيخفف عنك صراخى .. قل لى

ماذا تبغى أن أصرخ .. فأقول ؟

الحارس : استحلفنى بالله ، بأولادى ، بتراب أبى .

أنظر لى نظرة خوف تتبع سوطى ، وهو يحلق ، ثم يرف ويتهاوى

اسأل لى الله بقاء ، أو سعة فى الرزق ، رقيا فى الجاه

اصنع شيئا يوقفنى ، أرجوك .. اجعلنى أتوقف

فأنا قد أنهكت

« وهو يلهث »

أنهكت .. أنهكت .. أنهكت

ربى .. ما هــذا الاعياء ؟

يا شــيخ

قل لى من أنت ..

أنت الشــيطان ؟

بل أنت ملاك .. جبريل

بل أنت ولى من أهل الله

من أنت ؟ ! ..

من أنت ؟ ! ..

((يتهاوى بجانبه ، ويبكى على كتفيه))

أيا كنت اغفر لى .. اغفر لى ..

الحــــــلاج : بل أشكره أن أنصف حالى فى الحب

اذ عاقبنى فى بدنى

((الحلاج ينهض ، ويبتعد قليلا عن الحارس))

يارب

لو لم أسجن ، أضرب ، وأعذب

كيف يقينى عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟

لكنى الآن تيقنت يقين القلب

أنك تنظر لى ، ترعانى ..
ما زالت تستعظمنى عينك
ما زلت ترانى أخلص عشاقك
عين الله على
وهداياه موصـــوله
وطرائف نعمته مبذوله
فهنيئـــا لى
فهنيئـــا لى

« الحارس ينسحب متثاقل الخطو من جوار الحـــائط ، حتى يقـــارب البـــاب ، ويلتفت للحلاج قائلا » :

الحـــــــارس : ان لم يأنف منى قلبك

الحـــــــلاج : فاذكرنى فى صلواتك يا شيخ

« يخـــرج »

« يقترب السجينـــان من الحـــلاج ، يبـــدأ السجين الثانى الحديث »

السجين الثانى : سامحنا يا سيد ..
فالسجن يكشف أقبح ما فى الإنسان ...

السجين الأول : هل تلعننا فى صلواتك ؟

الحــــلاج : بل أدعو ربى أن يفرج همكما

السجين الأول : يتردد فى شفتى الآن ســؤال لا أدرى ما أفعل به

هل تأذن لى أن ألقيه يا سيد ؟

الحــــلاج : لا تكتم عنى يا ولدى

السجين الأول : أخشى أن يؤذيك سماعه

الحــــلاج : بل يؤذينى أن تكتم ما فى نفسك

السجين الأول : « بعد تردد »

لم أنت هنا ؟

الحــــلاج : مقدور يا ولدى ..

السجين الأول : لا أعنى هــذا .. ساعــدنى .. لفظى لا يسعفنى

أعنى .. لم جاءوا بك ؟

الحــــلاج : ليتم المقدور ..

السجين الثانى : « مشيرا للأول »

هذا رجل لا يحسن أن يتكلم
يعنى .. ما التهمه ؟

الحـــــلاج : أنى أتطلع أن أحيى الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
أمسيح ثان أنت !

الحـــــلاج : لا ، لم أدرك شأو ابن العذراء
لم أعط تصرفه فى الأجساد
أو قدرته فى بعث الأشلاء
فقنعت باحياء الأرواح الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
ما أهون ما تقنع به !

الحـــــلاج : لم تفهم عنى يا ولدى
فلــكى تحيى جســدا ، حز رتبــة عيسى
أو معجزتــه
أما كى تحيى الروح ، فيــكفى أن تمــلك
كلماتــه
نبئنى .. كــم أحيــا عيسى أرواحــا قبل
المعجزة المشهودة ؟

آلاف الأرواح ، ولكن العميان الموتى
لم يقتنعوا ، فحباه الله بسر الخلق
هبة لا أطمع أن تتكرر

السجين الثانى : وبماذا تحيى الأرواح ؟

الحـــــلاج : بالكلمـــات

السجين الثانى : أتراك تقول ..

صلوا .. صوموا .. خلوا الدنيا ، واسعوا
فى أمر الآخرة الموعوده ٠
وأطيعوا الحكام وان سلبوا أعينكم يتنزى
منهـــا الـــدم
رصوها ياقوتا أحمر فى التيجان
بشراكم ، اذ ترثون الملكوت
عفوا ، هذا لفظ من ألفاظ شبيهك ..

الحـــــلاج شكرا ـ تعطينى أعلى من قدرى
لكن فى قولك بعض الحق
فأنا أحيانا أصرخ فيهم : خلوا الدنيا الفاسدة
المهترئـــة

ودعوا أحلامكم تنسج دنيا أخرى

السجين الثانى : دنيا أخرى من صنع الأحلام

الحــــلاج : الحلم جنين الواقــع

أما التيجــان ..

فأنا لا أعرف صاحب تاج الا الله

والناس سواســية عندى

من بينهم يختــارون رءوسا ليسوسوا الأمر

فالوالى العــادل

قبس من نور الله ينور بعضا من أرضه

أما الوالى الظــالم

فستار يحجب نور الله عن الناس

كى يفرخ تحت عباءته الشر

هذا قولى .. يا ولدى

السجين الثانى : أقوال طيبة ، لكن لا تصنع شيئا

أقوال تحفر نفسى ، توقظ تذكارات شبابى

لأرانى فى مطلع أيامى الأولى

هل تدرى يا شيخى الطيب

انى يوما ما .. كنت أحب الكلمات
لما كنت صغيرا وبريئا
كانت لى أم طيبة ترعانى
وترى نور الكون بعينى
وترانى أحلى أترابى ، أذكى أخدانى
فلقد كنت أحب الحكمة
أقضى صبحي فى دور العلم
أو بين دكاكين الوراقين
وأعود لأفاجئها بالألفاظ البراقة كالفخار
المدهون
الجوهر والذات
الماهية والاسطقسات
والقاتيغوريات
« يونانى لا يفهم »
أمى كانت تلتذ بأقوالى تتجرعها أذناها شهدا
يتبسم خداها ، عيناها ، مفرقها المتغضن
ويغرد فى شفتيها صوت لا أسمعه الا فى ذاك
الحين

« الله يصـــونك لى »
« ويمد حياتى حتى أتملاك »
« أستاذا فى بيت الحكمة »
« أو قاضى شرع »
« أو والى ربع »
« أو شيخا صاحب نعمة »
كانت أمى خادمة تجمع كسرات الخبز وفضل
الثوب
من بعض بيوت التجــار
وأنــا طفل لا همـــة لى
الا فى هــذا اللغو المــأفون
مرضت أمى ، قعدت ، عجزت ، ماتت
هل ماتت جوعا ، لا ، هذا تبسيط ساذج
يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الأوغــاد
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته
وجه الصــدق القاسى
أمى ما ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانه
ولذا مرضت صبحا ، عجزت ظهرا ، ماتت
قبل الليــل

الحـــــــلاج : فليرحمها الله

السجين الثانى : بل فليلعن من قتلوها ..

الحـــــــلاج : قتلوهـــا ؟ ..

السجين الثانى : من أعطـــوا أمى ، ما يـــكفى أن يطعمهـــا أو يطعمنى

من جعلونى آكل لحم الأم لأحيا وأشب

قل لى .. هل تصلحهم كلماتك ؟

الحـــــــلاج : هل يصلحهم غضبك ؟

السجين الثانى : غضبى لا يبغى أن يصلح بل أن يستأصل

الحـــــــلاج : من تبغى أن تستأصل ؟

السجين الثانى : الأشرار ..

الحـــــــلاج : بم تعرفهم ..

السجين الثانى : بتصرفهم

الحـــــــلاج : يا ولدى

الشر دفين مطمور تحت الثوب

لا يعرفه الا من يبصر ما فى القلب

نحن هنـــا بضعة مخلوقـــات فى ركن من
أركان الدنيـــا
أنت .. أنـــا .. هــذا .. حارســنا ذو
السوط المتدلى من خاصرته
من فينا الشرير .. من فينا الخير ؟
من فينا يستأصله سيفك ، أو يعفيه ويستبقيه
وهب السيف بغير يمينك
بيمينى أو بيمين الحـــارس
فمتى نرفعه أو نضعه ؟

السجين الأول : ولمـــاذا لم تضعوا سيفا فى كفى ؟

الحـــــلاج : من عندئذ تقتل .. ؟

السجين الأول : نفسى .. يا سيد ؟

السجين الثانى : « للأول »
دعنا من هذا الهذر الأجوف

« الحـــلاج »

السجين الثانى : اسمع لى يا شيخ
انك رجـــل من أذكى من قـــابلت فـــؤادا
أثبتهم جارحة عند الشده

وتحب الناس ، لأنك من أجل الناس سجنت
وعــذبت
لكن ، هل تقضى عمرك مقهورا فى ظل
الجدران المربده ؟
كالبومة تنعب فوق خرائب أيام السوء
حتى يأتى حجر طائش
ويهشــم رأســك
لم لا تهرب ؟

الحــــلاج : لم أهرب ؟

السجين الثانى : كى تحمل سيفك من أجل الناس

الحــــلاج : مثلى لا يحمل ســيفا

السجين الثانى : هل تخشى حمل السيف ؟

الحــــلاج : لا أخشى حمــل الســيف ولكنى أخشى
أن أمشى به
فالسيف اذا حملت مقبضــه كف عميــاء
أصبح موتــا أعمى

السجين الثانى : ولمــاذا لا تجعل من كلماتك نور طريقه ؟

الحـــــلاج : هب كلماتى غنت للسيف ، فوقع ضرباته
أصداء مقاطعها ، أو رجع فواصلها وقوافيه
ما بين الحرف الساكن والحرف الساكن
تهوى رأس كانت تتحرك
يتمزق قلب فى روعة تشبيه
وذراع تقطع فى موسيقى سجعه
ما أشقانى ، عندئذ ، ما أشقانى
كلمــاتى قد قتلت

السجين الثانى : قتلت باسم المظلومين ..

الحـــــلاج : المظلومين ..
أين المظلومون ، وأين الظلمة ؟
أو لم يظلم أحد المظلومين
جارا أو زوجا أو طفلا أو جارية أو عبدا ؟
أو لم يظلم أحد منهم ربه ؟
من لى بالسيف المبصر !
من لى بالسيف المبصر ! ..

السجين الأول : هل تبكى يا سيد ؟.
لا تحزن ، قد ينفرج الحال

الحـــــلاج : لا أبكى حزنا يا ولدى ، بل حيره
من عجزى يقطر دمعى
من حيرة رأيى وضـــلال ظنونى
يأتى شجوى ، ينسكب أنينى
هل عاقبنى ربى فى روحى ويقينى ؟
اذ أخفى عنى نوره
أم عن عينى حجبته غيوم الألفاظ المشتبهه
والأفـــكار المشتبهه ؟
أم هو يدعونى أن أختار لنفسى ؟
هبنى اخترت لنفسى ، ماذا أختار ؟
هل أرفع صــوتى ،
أم أرفع ســيفى ؟
مــاذا أختــار ؟ ..
ماذا أختار ؟ ..

« يظلم المسرح تدريجيا ، حتى ينعدم ضـوءه مما يوحى بمرور الأيـام ، ثم ينير تدريجيـا كذلك ، لنرى نفس المشـــهد ، لكن لا نرى السجين الثانى ، القت الأيام على المشهد كله مزيدا من التعاسة ، حوائطه وأرضـه وحتى هوائـــه » .

السجين الأول : أيـام تسقط فى أيـام
وشهور تهوى فى جوف شهور
منذ ألقينا فى هذى البئر الملعونة

الحـــلاج : كم لك فى السجن ؟

السجين الأول : أيـام قبـلك ..

الحـــلاج : فلنصبر ، يا ولدى

السجين الأول : لا أدرى لم يضنينى السجن الآن ؟
ألأنى أعلم أن السجان
أولى منى بمكانى
لم لم تتركنى حين دعانى ثالثنا
أن أصحبه فى هربه ؟

الحـــلاج : لكنى لم أمنعك
بل لم أعرف

السجين الأول : لكنك كنت تحس
ولهذا كنت كثيرا ما تأنس بى
وتقربنى ، فى أول ساعات الليل
وتحدثنى وتحدثنى حتى قيدت خطاى

ولهذا قلت لنفسي ، حين دعاني أن أهرب :
« ماذا يجــدى روحى أن تخرج من سجن
ضــيق
كى تلزم سجنا أهون ضيقا .. ؟ »
لنفسى قــلت :
« ماذا قد أفعل فى كون قد أنكرنى
لم يصبح فى وسعى أن أجد مكانا فيه
الا أن أنكر روحى،أقتل هذا الشىء الغامض
النابت فى قلبى من كلماتك » ؟
ولنفسى قلت :
« ماذا يرجو انسان أكثر من أن يسعد ؟
وأنــا قد كنت سعيدا فى ظلك .. »
يا خيبة ســعيى
يا خيبة ســعيى
أحببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فأر مقعد
ليسامحك الله
بكلامك ضيعت حياتى ..

بكلامك ضيعت حياتى ..

الحـــــلاج : يارب

ألهمنى أن أختار

ألهمنى أن أختار

« فى هذه اللحظة ، يدخل كبير شرطة السجن، وبصحبته حارسان »

كبير الشرطـة : أيكما الحـلاج ؟

الحـــــلاج : أنـا يا سـيد

كبير الشرطـة : اليوم يحاكمك قضاة الدولة

فلتمض أمامى ..

الحـــــلاج : هذا أحلى ما أعطانى ربى ..

الله اختـار ..

الله اختـار ..

(ســـتار)



المنظر الثانى

((محكمة كبير القضاة ببغداد قضاتها الثلاثة أبو عمر الحمادى أنيق بدين ، وابن سليمان، قصير حفى فى حديثه هادىء الصوت ، وابن سريج ، نحيل حسن السمت ، ثم الحاجب)) ..

أبو عمر : بسم الله الهادى للحق
وعليه توكلنا
ندعوه أن يهدينا للعدل
ويوفقنا أن ننهض بأماناتنا
يا حاجب ..
لم لم يأتوا بالرجل المفسد حتى الآن ؟

الحاجب : الشرطة يأتون به من باب خراسان
وهم يلتمسون الطرق الخالية من العامة
حتى يتوقوا أهل الفتنة ..

أبـــو عمـــــر : الفتنـــة ! ..

ألأن عدوا لله وللسلطان يؤدب

يتجمع أوباش الناس على الطرقات ؟

حقا ! ما أصغر أحلام العامة

الحـــــاجب : رجل كان سجينا معه فى باب خراسان

قد جمعهم منذ صباح اليوم .

أبـــوعمــــر : اهمال من والى الشرطة

لم لم يطلق فيهم أعوانه

الحـــــاجب : هذا ما يفعله الآن

أبـــو عمـــــر : كم يبلغ عد العامه ؟ ..

الحـــــاجب : مائة أو مائتان

أبـــو عمـــــر : لا .. لا .. لا خوف

لا قبل لهم بمواجهة الشرطه

انظر ، هل جاءوا بالرجل المفسد ؟

الحـــــاجب : سـمعا يا مولاى

« يخـرج »

ابـن سريـج : « فى صوت خفيض »
أأبـا عمر ، قل لى ، ناشدت ضميرك
أفلا يعنى وصفك للحـلاج ..
بالمفسـد ، وعـدو الله
قبل النظر المتروى فى مسألته
أن قد صـدر الحكم ..
ولا جدوى عندئذ أن يعقد مجلسنا ؟

أبـو عمـر : هل تسخر يا ابن سريج ؟
هذا رجل دفع السلطان به فى أيدينا
موسـوما بالعصـيان
وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلا
فاذا كانت تستوجب تعذيره ..

ابـن سليمان : عـذرناه

أبـو عمـر : واذا كانت تستوجب تخليده
فى محبس باب خراسان

ابـن سليمان : خـلدناه

أبـو عمـر : واذا كانت تستوجب أن يهلك

ابـن سـليمان : أهلكنـاه

أبـو عمـر : لا ، ليس بأيدينا ، اذ نحن قضاة ، لا جلادون
ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع
والسـياف يشـد الحبـل

ابـن سـليمان : هـذا تعبير رائـع
لكن لا يستغرب ان يصـدر عن سـيدنا
الحمـادى

أبـو عمـر : عفوا ، عفوا ، يابن سليمان
اطراؤك يخجلنى ، ويذكرنى
أن الله يوفقنى
دوما للتعبير الرائـع
أحـكى لك قصـة ..
بالأمس لقيت صديقى القاضى الهروى
وهو كمـا تعـلم
رجل مغرور بقريحته وذكائه
فسـألته :
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فاحتار ، ولم يفهم

فأعدت القول ، لكى لا تبقى للقاضى حجه
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فتبلد وتحمحم
كحصان ابن زبيبة عنتر ..
« فازور من وقع القنا بلبانه
وشكى الى بعبرة وتحمحم »
انى أروى آلاف الآلاف من الأبيات
لولا حفظى ماء الوجه لقلت الشعر
وسبقت أبا تمام وابن الرومى فى صيد التبر
لكنى رجل لا يغرينى المـال ، كما تعلم
لنعد لحكايتنـا ..
لم يعرف قاضينا المغرور بعقله
معنى تعبيرى الرائـع
فحككت له أنفى ، ثم مضيت

ابـن سـليمان : يبقيك الله ، فقد كشفت غباءه
لكن ، قـل لى
فتح الله عليـك
ما معنى هـذا القول ؟

أبــو عمـــــر : هل تدرك معناه يا ابن سريج ؟

ابــن سريــج : يا مولانــا

جئنا فى مجلس حكم لا فى مجلس ألغاز

وأنــا رجل محدود يقصر عقلى

عن أن يتســع لتعبيراتك

أبــو عمـــــر : رذ لبق ، والله

لكن لا يعفيك من الرد

ابــن ســليمان : رد لا يعفيه من الرد

هــذا أيضا تعبير رائــع

ابــن سريــج : يا مولانــا

أنشــدك الله

حتى لا تزدحم القاعة بالتعبيرات الملتويه

فتضـــل بها خطوات العدل

فسر لابن سليمان معنى تعبيرك

أبــو عمـــــر : خذ يابن سليمان

الطعن الأولى معناها طعن الأضراس

تتك .. تتك .. تتك ..

أما طعن الثانية فمعناها أوغل فى العمر

اه •• اه •• اه

أما الطعن الثالثة فمعناها طعن الأفخاذ

شكشك ، شكشك ، شكشك

والآن اسمع وتأمل ••

ما أجدى الطعن لمن طعن عن الطعن

أى ••

ما أجدى الأكل لمن عجز عن ••

الحاجب : يا مولانا القاضى

قتلوا المسجون الهارب

لكن العامة مازالت تتجمع فى الطرقات

أبو عمر : نقصوا أم زادوا ؟

الحاجب : نصفهمو قد فر أمام الشرطة

أبو عمر : هـذا ما كنت أظن

لا •• لا •• لا خوف

« ينسحب الحاجب ، ويلتفت لابن سليمان »

ما رأيك يا ابن سليمان فى هذا اللغز ؟

ابـن سـليمان : ما أمتع أسمارك يا مولانا
ليس غريبا أن يؤثرك الخلفاء أنيسا
ويقربك الوزراء جليسا
ويكون لك الرأى المسموع

أبـو عمـر : بل علمى يبهرهم يا ابن سليمان

صوت الحاجب : « من باب القاعة »
مولانا بكر بن الأوسى والى الشرطة
وبصحبته الحلاج حسين بن المنصور .

« يدخل والى الشرطة ، ومعه الحلاج ، ويحيى الوالى القضاة بالسلام فيردونه ، ثم ينصرف ويترك الحلاج ماثلا أمام القضاة »

أبـو عمـر : يا حلاج .. اتدرى لم جئت هنا ؟

الحـلاج : ليتم الله مشيئته يا سيد

أبـو عمـر : هـذا حـق ..
والله تبـارك وتعـالى .
قد ثبت فى كف خليفتنا الصالح ـ أبقاه الله ـ
ميزان العدل وسيفه

الحـــــلاج : لا يجتمعان بكف واحدة يا سيد

أبـــو عمـــــر . : هذا ضرب من فتان القول

لا يدركه أمثالك من أهل الفتنة

ابـــن سـليمان : حلو .. حلو ..

لم يفتنى قولك يا سيد

أبـــو عمـــــر : سيروعك قولى فيما بعد

فاسمع وارتع

مولانا لا يدفع عبدا من ولى فيهم للسيان

الا أن أحصى ما فرط من أمره

فى ميزان الانصاف

مولانا يدرى من زمن أنك تبغى فى الأرض فسادا

تلقى بذر الفتنة

فى أفئدة العامة

وعقول الدهماء

تستتر خلف الذقن الشهباء

أو أثواب المجذوبين الفقراء

والأقوال الغامضة المشتبهات القصد
اذ تسبكها وتقفيها كهذاء الشعراء
قل لى .. ماذا تبغى بهذائك ؟
هل تبغى أن يضع المسلم ..
فى عنق المسلم سيف الحقد ؟

الحلاج : لا .. يا سيد
بل أبغى لو مد المسلم للمسلم
كف الرحمة والود

أبو عمر : ولهذا تعرض للحكام
من أهل الرأى وأصحاب النعمة
ماذا تبغى ؟
أن يختل الناموس ويصبح أمر العامة
أعلى من أمر الخاصة
أن يحكم فينا الحمقى والجهلة
أن يعطى الأمر لمن ليس بأهل له

ابن سليمان : فتقوم الساعة

أبو عمر : يا حلاج

الجرم الثابت لا ينفيه أن تتباله وتتمتم

ابـن سريـج : يا مولانا ، هلا أعطيت الرجل المهلة أن يتكلم
فلقد حققت وأحكمت التهمة ، ثم أدنت

أبـو عمـر : ما حاجتنا أن نسمع فى هذا المجلس
فيضا من لغو القول المبهم ؟
فليعل حديث العدل اذا خرس الجرم
قـال الله تعـالى :
« انما جزاء الذين يفسدون فى الأرض »

ابـن سـليمان : أأبا عمر .. حقا ما قلت
لكنى أرجو أن نبعث برسول للقصر
نستفتيه فى أمر الحـكم

أبـو عمـر : هل تخشى أن تحمل دم هذا المفسد ؟

ابـن سـليمان : لا أخشى أن يلزم دمه عنقى باسم الشرع
لكنى لا أرضى أن يلزمنى باسم السلطة
فأنا لم أشـهده يبغى افسـادا فى الأرض

أبـو عمـر : الشرطة قد شهدته

ابـن سـليمان : لكنى لم أتحقق من قول الشرطة ..

أبــو عمــــر : يا ابن سليمان

لسنا أهــل لتحقيق

بل أهل الفتوى ، أعلم هذا الجيل باحكام
الشرع

فالشرطة والوالى والسلطان يسوســون ..
أمور الأمــة

ويميزون الجـــانى ، ويقيســون الجــرم
بامعــان وتثبت

فاذا صح الجــرم لديهم ، وقفوا الجــانى
بين يدينـــا

لنرى فيه الرأى الشرعى الصائب

ابــن ســليمان : يا مولانــا

رأيى من رأيــك ..

لكنــك قــد وضحتــه

ببيانٍ مثلى لا يدرك حسنه

فلتسمح لى أن أعرض رأيى

بعباراتى الجرداء من الفطنــه

انى قــد أســآل نفسى الآن

من نحن ، وما علة هـذا الجمع ؟
نحن رجال العلم ، وأهـل الشرع
والوالى يستفتينـا فى أمر
وعلينـا اتقـان الفتوى
أنـا لا يعنيني ما اسم المتهم الماثل بين يدينا
والحلاج لدينا حال ، لا شخص ماثل
وكأن الوالى يسـألنا
ما حـكم الشرع العـادل
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

وهنا نتملى فىالأحكام ، وننشرها ، نتخير منها،
ونقـول :
للوالى ، لا للحـلاج
هـذا حـكم الشرع
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

أن تقطع أرجله ، أيديه ، ويصلب فى جـذع الشـجرة

ويفض المجلس
هل فتوانا ملزمة للوالى ؟
لا .. فله أن ينفذهـــا
أن أن يسترجع أمره
وهنا لا نحمل وزر دم مســـفوك فى ظـــلم
أو عـــدل أو عـــدل

ابــن سريــج : لا ، لا ، يابن سليمان
ما تنسجه من محبوك القول
أحبولـــة شـــيطان
ان الكلمـــات اذا رفعت سيفا ، فهى السيف
والقاضى لا يفتى ، بل ينصب ميزان العدل
لا يحكم فى أشباح ، بل فى أرواح أغلاها الله
الا أن تزهق فى حق ، أو فى انصاف
الوالى والقاضى رمزان جليـــلان
للقـــدرة والحـــق
لا تدنو من مرماها أفراس القدره
لا تبـــلغ غايتهـــا
الا أن أمســـك فرسان الحق

بزمـــام أعنتها
فاذا شئتم أن ينقلب الحـــال
ان تلقوا فرســـان الحـــق
صرعى تحت حوافر أفراس القدره
فأنـــا أستعفى من مجلســـكم

أبـــو عمــــــر : يا ابن سريج
هـــذا مجلس حكم مخصـــوص
وله تقـــدير مخصـــوص
ينظر فى أمر مخصـــوص
وكمـــا قـــال القـــائل

ابـــن سريـــج : « مقاطعـــا »
مخضوص .. مخصوص .. مخصبوص
هل خصوا هـــذا المجلس بالظـــلم
قل لي فى لفظ واضـــح
هل نحن قضـــاة باسم الله
أم باســـم الســـلطان ؟

أبـــو عمــــــر : بل قـــل أنت

أو تنكر أن السـلطان خليفـة رب الأكوان
على الأكوان ؟

ابـن سريـج : هـذا السلطان العادل ...

أبـو عمـر : أو تبغى أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟

ابـن سريـج : بل أرجو أن أثبتها له

ليس العدل تراثا يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حـكم تلحق باسـم السلطان اذا
ولى الأمر
كعمامته أو سـيفه
مات الملك العـادل
عـاش الملك العـادل
العـدل مـواقف
العدل سؤال أبدى يطرح كل هنيهه
فاذا ألهمت الرد ، تشكل فى كلمات أخرى
وتولد عنه سؤال آخر ، يبغى ردا
العدل حوار لا يتوقف
بين السـلطان وسلطانه

أبـو عمـر : العدل .. العدل
ماذا تبغي حتى يجري العدل

ابـن سريـج : أن نسمع صوت المتهم المـاثل بين يدينا
ونسائل أنفسنا وضمائرنا

أبـو عمـر : هـه ...
هو لا يبغي أن يتكلم
وعلى كل ، مازالت جلستنا ممدوده
فليسمعنا شـيئا من لغوه
يا هـذا الشيخ المنفوش اللحيه
بم تدفع عن نفسك ...؟

الحـلاج : لستم بقضـاتي ؛
ولذا لن أدفع عن نفسي

ابـن سريـج : « للحـلاج »
يا حـلاج ...
لا تدفع عن نفسـك
بل حـدثنا عما فيهـا
ان كان هو الحق ، عرفناه معك

واذا كان الباطـــل
نبهنـــاك اليه
وأخذنـــاك بجرمـــه •••

الحــــــلاج : أوعدتم ان كان الحق •••
أن تمضـــوا فيه معى ؟

أبـــو عمـــــر : نمضى فيه معك •• ؟
اما أنك رجل ساذج
أو أنك أذكى مما تتصور
ولهذا أفسدت صعاليك العامه
وعلى كل ، لا ضـــير
قد نصبح من أتباعك « ساخرا »
من أنت ، وما خطبك ••• ؟

الحــــــلاج : أنـــا رجل من غمار الموالى ، فقير الأرومة والمنبت
فلا حسبى ينتمى للســـماء ، ولا رفعتنى لها ثـــروتى
ولدت كآلاف من يولدون ، بآلاف أيام هذا الوجـــود

لأن فقيرا ــ بذات مســاء ــ ســعى نحو
حضن فقيرة
وأطفأ فيه مرارة أيامه القاســية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يقــاتون
خبز الشموس
ويسقون مــاء المطر
وتلقاهم صبية يافعين حزانى على الطرقات
الحزينــه
فتعجب كيف نموا واســتطالوا ، وشــبت
خطاهم ...
وهــذى الحيــاة ضنينه
تسكعت فى طرقات الحياة ، دخلت سراديبها
الموحشــات
حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات
وأشعلت عينى ، دليلى ، أنيسى فى الظلمات
وذوبت عقلى ، وزيت المصــابيح ، شمس
النهار على صفحات الكتب
لهثت وراء العــلوم ســنين ، ككلب يشم
روائح صــيد

فيتبعها ، ثم يحتـال حتى ينال سبيلا اليها ،
فيركض ،
ينقض
فلم يسعد العلم قلبي ، بل زادني حيرة راجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أني ضئيل كقطرة طل
كحبـة رمـل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمي ما قادني قط للمعرفـة
وهبني عرفت تضاريس هذا الوجود ...
مدائنـه وقـراه
ووديانـه وذراه
وتاريخ أملاكه الأقـدمين
وآثـار أملاكه المحـدثين
فكيف بعرفان سر الوجـود ، ومقصـدي
مبتدا أمره ، منتهاه
لكي يرفع الخوف عني ، خـوف المنون ،
وخوف الحياة ، وخوف القدر

لكى أطمئن
سألت الشيوخ ، فقيل
تقرب الى الله ، صل ليرفع عنك الضلال ..
صل لتسعد
وكنت نسيت الصلاة ، فصليت لله رب المنون
ورب الحياة ورب القدر
وكان هواء المخـافة يصفر فى أعظمى ويئز
كريح الفلا ... وأنـا ساجد راكع أتعبد
فأدركت أنى أعبد خوفى ، لا الله ...
كنت به مشركا لا موحـدا
وكان الهى خوفى
وصليت أطمع فى جنته
ليختال فى مقلتى خيال القصور ذوات القباب
وأسمع وسوسة الحلى ، همس حرير الثياب
أنى أبيع صلاتى الى الله
فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن
وكنت به مشركا ، لا موحدا

وكان الهى الطمــع
وحير قلبى ســؤال :
ترى قدر الشرك للكائنات
والا ، فكيف أصلى له وحده
وأخــلى فؤادى مما عــداه
لكى أنزع الخوف عن خاطرى
لكى أطمئن •••
((ســكتة))
كما يلتقى الشوق شوق الصحارى العطاش
بشوق السحاب السخى
كذلك كان لقــائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب ، كنت أحب السؤال ، وكان
يحب النوال
ويعطى ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى ، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطى ، فيخضر غصنى
ويعطى ، فيزهر نطقى وظنى

ويخلع عنى ثيابى ، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشق تفز
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ،
وأنت الصلاه
وأنت الديانة والرب والمسجد
تعشقت حتى عشقت ، تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وأتحفنى بكمال الجمال ،
جمال الكمال
فأتحفته بكمال المحبه
وأفنيت نفسى فيه

أبو عمر : صمتا : هذا كفر بين !

ابن سريج : بل هذا حال من أحوال الصوفيه
لا يدخل فى تقدير محاكمنا
أمر بين العبد وربه
لا يقضى فيه الا الله
لنسائله عن تهمة تحريض العامة
فلهذا أوقفه السلطان هنا .
هل أفسدت العامة ، يا حلاج ؟

الحـــــلاج : لا تفسد أمر العامة الا السلطان الفاسد
يستعبدهم ويجوعهم

ابـن سـليمان : يعنى هل كنت تحض على عصيان الحكام

الحـــــلاج : بل كنت أحض على طاعة رب الحكام
برأ الله الدنيا احكاما ونظاما
فلماذا اضطربت ، واختل الاحكام ؟
خلق الانسان على صورته فى أحسن تقويم
فلماذا رد الى درك الأنعــام ؟

أبــو عمـــر : ماذا يعنى هــذا الشيخ ؟
هل هذا أيضا من أحوال الصوفية ؟
أم يستخفى خلف الألفاظ المشتبهه
كى يخفى وجه جريمته الشنعاء ؟
انى أسألك سـؤالا محدودا
لتجيب جوابــا محــدودا
هل تزعم أنك صــوفى .. ؟

الحـــــلاج : الله يصنفنى حيث يشاء

أبــو عمـــر : هل تزعم أنك فارقت الدنيا وشواغلها ؟

الحـــــلاج : ها أنـا ذا فى الدنيا يا سـيد
أشغل نفسى بالرد على أسئلتك

أبـو عمـــر : هل أرسلت رسـائل لأبى بكر المـاذرائى
وسـواه
تدعـوهم فيهـا أن ينتفضـوا ، ويهبـوا
ضـد الدولة ؟

الحـــــلاج : الدولة •• !
لا أشغل نفسى بالدوله
بل أشغلها بقلوب أحبـائى

أبـو عمـــر : تنـكر •• ؟
يا حاجب •••
قل للشرطة يأتوا بالمـاذرائى

الحـــاجب : هرب المـاذرائى من بغداد يا مولاى
وكذلك حمد الطولونى والقنائى

أبـو عمـــر : منذ متى •• ؟

الحـــاجب : من يومين •• ؟
مذ أنبأهم جاسوس بالقصر

عن قرب محاكمة الحلاج

أبــو عمــــر : كيف عرفت .. ؟

الحـــاجب : أنبتنى الشرطة يا مولاى

أبــو عمــر : « للحــلاج »

أحسبك الآن ستمضى فى انكارك

لكنى من نطقك سأدينك

هل أرســلت رســائل ؟

الحـــلاج : قطع من قلبى أهديها لقلوب أحبائى

أبــو عمــر : مــاذا فيهــا ؟

الحـــلاج : تذكير لهم أن الانسان شقى فى مملكة الله

لم يبرأنا البارى ليعذبنا ، ويصغرنا فى عينيه

بل ليرانا ننمو ، وتلامس جبهتنا وجه الشمس

أو نمرح تحت عباءتها كالحملان المرحه

أبــو عمــر : لم أرسلت اليهم برسائلك المسمومه ؟

الحـــلاج : هــذا ما جال بفكرى

عاينتُ الفقر يعربد فى الطرقات

ويهــدم روح الانســان

فسـألت النفس :

مـاذا أصـنع ؟

هل أدعو جمع الفقراء

أن يلقوا سيف النقمـه

فى أفئدة الظلمـه ؟

ما أتعس أن نلقى بعض الشر ببعض الشر

ونداوى اثمـا بجريمـه

مـاذا أصـنع ..؟

أدعـو الظلمـة

أن يضعوا الظلم عن الناس

لكن هـل تفتح كلمـه

قلبا مقفولا برتاج ذهبى ؟

مـاذا أصـنع ؟

لا أملك الا أن أتحدث

ولتنقل كلماتى الريح السواحه

ولأثبتها فى الأوراق شهادة انسان من أهل الرؤيـه

فلعل فؤادا ظمآنا من أفئدة وجوه الأمه

يستعذب هـذى الكلمـات
فيخوض بها فى الطرقـات
يرعاها ان ولى الأمر
ويوفق بين القدرة والفكره
ويزاوج بين الحكمة والفعل ..

أبـو عمـــر : هل تبغى أن يرتفع الفقر عن الناس ؟
الحـــلاج : ما الفقر ؟
ليس الفقر هو الجوع الى المـأكل والعرى
الى الكسوه
الفقر هو القهر
الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع
البغضـاء
الفقر يقول ــ لأهل الثروه ــ
اكره جمـع الفقراء
فهمو يتمنون زوال النعمة عنك
ويقول لأهـل الفقر
ان جعت فكل لحم أخيك

الله يقول لنا :
كونوا أحبابا محبوبين
والفقر يقول لنا :
كونوا بغضـــاء بغاضين
اكره .. اكره .. اكره
هـــذا قول الفقر

أبـــو عمـــــر : هذا أمر لا يسكت عنه
هـــذا الشيخ يقول :
الانسان شقى فى مملكة الله
معنى هذا أن الأمة تشقى فى ظل خلافة مولانا
ويقول :
ان الفقر يعربد فى الطرقات
معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات
ولتسأل عندئذ من سلب الأقوات !
ويقول :
لكن الكلمة لا تفتح قلبا مقفولا برتاج ذهبى
يعنى الأمراء وأهل الجــاه
وتؤدى هـــذى الألفاظ المشتبهه

بالفقراء الى نبذ الطــاعه ..
ولزوم الفتنــه
ولهذا أحكم مرتاحا باداتته وعقابه
ما رأيك يا ابن سليمان ؟

« قبل أن يجيب ابن سليمان ، يدخل الحاجب على عجل »

الحــــاجب : مبعوث من عند وزير القصر
يستأذن أن يدخــل

أبــو عمــر : من عند وزير القصر
فليدخــل ....

المبعــوث : مولاى وزير القصر
يهــديكم تقــديره
ويوجه هــذا المكتوب اليك

« يعطى أبا عمر الخطاب ، فينشره ، وينظر فيه »

أبــو عمــر : « وهو ينظر فى الخطاب »
مولاى وزير القصر

لطفـا منه وكرامـه
ينبينا فى مكتوبه
« يقـرأ »
أن الدولة قد سامحت الحلاج
فيما نسب اليه ، وتثبت منه السلطان
من تحريض العامة والغوغاء على الافساد
وعفت عنه عفوا كليا لا رجعة فيه

ابـن سـليمان : هذا حقا ، لطف من مولانا وكرامه

أبـو عمـر : « مستأنفا فى الخطاب »
لكن وزير القصر يضيف :
« هبنا أغفلنا حق السلطان ..
ما نصنع فى حق الله ؟
فلقد أنبئنا أن الحلاج
يروى أن الله يحل به ، أو ما شاء له الشيطان
من أوهـام وضـلالات
ولهذا أرجو لو يسأل فى دعواه الزنديقية
فالوالى قد يعفو عمن يجرم فى حقه
لكن لا يعفو عمن يجرم فى حق الله »

ابـن سـليمان : هـذا أيضا حق !

ابـن سريـج : بل هـذا مكر خادع
فلقد أحكمتم حبل الموت
لكن خفتم أن تحيا ذكراه
فأردتم أن تمحوهـا
بل خفتم سخط العامة ممن أسمع أصواتهم
من هـذا المجلس
فأردتم أن تعطوه لهم مسفوك الدم
مسفوك السمعة والاسم
يا حـلاج ...
هل تؤمن بالله ؟

الحـــلاج : هو خالقنا واليه نعود

ابـن سريـج : هذا يكفى كى يثبت ايمانه

أبـو عمـر : يا ابن سريج
انى لا أبحث فى ايمانه
بل فى كيفية ايمانه

ابـن سريـج : كيفية ايمانه .. ؟

هل تبغى أن تنبش فى قلبه
هل هــذا من حق الوالى
أم من حــق الله ؟ .

أبــو عمــــر : هذا من حق قضاة الشرع

ابــن سريــج : لا ، بل هــذا من حق الله
فأنا لا أجرؤ أن أسأل رجلا عن ايمانه
فاذا شئتم أن تمضوا فى هذا الاثم ...

أبــو عمــــر : سنمضى يا ابن سريج

ابــن سريــج : فأنا أستعفى من مجلسكم

أبــو عمــــر : هــذا لك يا ابن سريج

« يغادر ابن سريج مجلسه ، ويخرج مسرعا من القاعة ، وهو يقول »

بل هــذا من حق الله
بل هــذا من حق الله

أبــو عمــــر : مازالت جلستنا معقوده
« يعود الى الخطــاب »
هذى حاشية فى مكتوب وزير القصر ...
تقول ...

« أرجو أهل العدل ، قضاة الحق
أن يستفتوا فى أمر الحلاج شهود
والشرطة قد جمعتهم فى باب القاعة
كى تكفيكم هـذا الأمر »
يا حـاجب
من بالبـاب

الحـــاجب : الشبلى الصوفى وبعض العامة

أبـو عمـر : أدخلـهم

« يخرج الحـاجب ، ويدخـل و
الشـبلى ، تتبعـه جمـاعة الفقـ
شهدناهم فى المنظر الأول »
« يتقـدم الشـبلى »

أبـو عمـر : أقدم يا شبلى

« الشبلى يتقدم أمام المحكمـة »

أبـو عمـر : هل تعرف هذا الشيخ ؟

« الشبلى يشير براسـه موافقا »
ماذا تعرف عنه ؟

الشـبلى : مولاى ... أقلنى ، واصرفنى

فلقد جذبونى من بين أحبائى

وأتوا بى مخفورا مقهورا

أبـــو عمــــر : ان كنت تحب العدل

فاشهد بين يدينا بجلية أمر الحلاج

الشــــبلى : بجلية أمره •• ؟

هذا سلطان لا يملكه الا الله

أبـــو عمــــر : أو ليس صديقا لك ؟

الشــــبلى : واماما من أعلى أهل طريقتنا قدرا

أبـــو عمــــر : هـل تزعم مثـله

أن الله تجـلى لك ••

أو حل حلولا فى جسدك ؟

الشــــبلى : كل منا يتحدث عن حاله

أو يصمت حين يشاهد

الحـلاج يرى •••

فيجن من الفرحة ، حتى يهذى ويعربد

وأنـا أتلذذ فى صمتى

أبـــو عمــــر : بك أيضا ، قد حل الله ؟

الشـــــبلى : يا مــولاى

ان أحببت وأخلصت العهد

هل تبقى ذاتك ذاتك

أم تفنى فى محبوبك

وبهذا يشعر أهــل الوجد

فنيت نفس فى خالقهـــا

فنيت ذات فى ذات

لم يصبح فى دنياك سوى ذاته

حتى أنت

قــد أصبحتــه

أبــو عمـــر : كفر .. كفر

هل هذا قولك أم قول الحلاج ؟

الشـــــبلى : يا مــولاى

أرجوك ... اصرفنى ... انك تلقى بى فى النــار

فلقد عاهــدت الله

ألا افشى نعمــاءه

ألا أكشف وجه الأسرار

ألا أتحدث عن حالى قط
دعنى أرعى عهدى ، واصرفنى

أبـــو عمـــــر : قول الحلاج اذن ...

الشـــــــبلى : « متوســـلا »
هل أخرج يا ســـيد ؟

أبـــو عمـــــر : اخـــرج
« يخرج الشـــبلى مرتاعا »
« يلتفت ابو عمر الى جمع الفقراء »
ما رأيكمو يا أهل الاسلام
فيمن يتحدث أن الله تجلى له
أم أن الله يحل بجسده ؟

المجمـــــــوعة : كافر .. كافر

أبـــو عمـــــر : بم تجزونـــه ؟

المجمـــــــوعة : يقتل ، يقتل

أبـــو عمـــــر : دمه فى رقبتكم .. ؟

المجمـــــــوعة : دمه فى رقبتنا

أبـــو عمـــــر : والآن .. امضوا ، وامشوا فى الأسواق

طوفوا بالساحات وبالخانات

وقفوا فى منعطفات الطرقات

لتقولوا ما شهدت أعينكم

قد كان حديث الحلاج عن الفقر قناعا

يخفى كفره

لكن « الشبلى » صاحبه قد كشف سره

فغضبتم لله ، وأنفذتم أمره

وحملتم دمه فى الأعناق

وأمرتم أن يقتل

ويصلب فى جذع الشجره

الدولة لم تحكم

بل نحن قضاة الدولة لم نحكم

أنتم ...

حكمتم ، فحكمتم

فامضوا ، قولوا للعامة

« العامة قد حاكمت الحلاج امضوا ..

امضوا .. امضوا ..

« يخرجون فى خطى متباطئة ذليلة »

(ستار)

تذييـــل

(أ) ولد الحسين بن منصور الحلاج حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكان ابوه يشتغل بصناعة الحلج وعمل هو بهـا زمنا . ومن هنا أتاه اللقب .

وتلقى خرقه الصــوفية فى شبابه عن المتصــوف المعروف عمرو المكى . وذلك بعد لقاء قصير بسهل التسترى ، احد كبار المتصوفين . والخرقة رمز الانخلاع عن الدنيـا والفناء فى الجماعة الصـوفية . ثم تزوج بعد ذلك بامرأة بصريـة . أولدهـا أولادا وعاش معها حياته كلها .

واتصل بعد ذلك بالجنيد شيخ صوفية عصره . ثم صار له مريدون عبر عنهم فى قصـائده بقوله « أصحابى وخلائى » . وقد أختلف مع صوفية عصره حين اخذ يتصل بالناس ويتحدث اليهم . فنبذ خرقة الصـوفية .

وطاف بعد ذلك ببلاد الهند . ثم عـاد الى بغداد ليعظ ويتحدث عن مواجده . يبث الآراء الاصـلاحية . ويتصل ببعض وجوه الدولة . ويجمع حوله مجموعة من الفقراء . وظلت حياتـه بين سجن ومحاكمات لا تتم . واتهـام وتكريم حتى كانت محاكمته الأخيرة فى عام ٣٠٩ هـ . أمام القاضى المـالكى أبن عمر الحمادى. ومعه قاضيان احدهمـا شافعى والآخر حنفى كمـا جرت بذلك العـادة .

وقد ترك لنا الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن مواجده الصوفية . ومجموعة من الأشعار النثرية فى كتابه الممتع العظيم « الطواسين » .

وقد كان لمقال ماسينيون « المنحنى الشخصى فى حياة الحلاج » . ولكتاب « اخبار الحلاج » الذى حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الأثر فى لفتى الى سيرة هذا المجاهد الروحى العظيم . وفى مقال ماسينيون اشارة الى الدور الاجتماعى للحلاج فى محاولته اصلاح واقع عصره . وماسينيون ينسب الحلاج الى الحنابلة . ويجعل الشيعة ـ ومنهم كان الوزراء وكبار الحكام ـ عدا الخليفة ـ هم الساعون فى دمه . وذلك بعد تحقيق تاريخى مسهب .

والاشارة لدوره الاجتماعى نجدها فى المراجع العربية القديمة . فالاصطخرى يقول انه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاها .. استمالهم لماذا ؟ لا يحدثنا الاصطخرى .

ولكن اضواء اخرى تلقى على طبيعة هذه الاستمالة مثل تاكيد الجويرى فى كتابه كشف المحجوب إنه رأى بالعراق بعد ما يزيد قليلا عن مائة سنة من موت الحلاج طائفة تسمى نفسها الحلاجية . وهذا أو قريب منه ما يحدثنا به ابو العلاء المعرى فى « الغفران » من أن هناك قوما فى بغداد ينتظرون خروج الحلاج . ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون عودته . وقد مات المعرى بعد صلب الحلاج بمائة وأربعين عاما .

فمما لاشك فيه اذن أن الحلاج كان مشغولا بقضايا مجتمعه .

وقد رجحت أن الدولة لم تقف ضده هـذه الوقفة الا عقابا على هذا الفكر الاجتماعي .

اما مسألة حنبليته . ووقوف الشيعة ضده . فتلك مشكلة. فرغم تأكيد ماسينيون فان دارسين آخرين مثل جولد تسيهر ودى بور وآدم ميتزلا يشيرون اليها . كما ان بعض المراجع الغربية القديمـة تغفلها . بل ان بعضـها يشـير الى شيعته مثل قـول الاصطخرى نقلا عن ابن حوقل ان الحلاج كان فى اول امره داعيا من دعـاة الفاطميين . وقول ابن النديم فى الفهرست انه كان فى أول أمره يدعو الى الرضا من آل محمد .

هى مسألة مختلف فيها اذن . ولذا اسقطتها من تقديرى .

وقد اخـذت من التاريخ شخصـيات معظم مسرحيتى ، فالشبلى من كبار الصوفية وكان صديقا للحلاج . وله شـهادة فى المحكمة . وقد استجوب الحلاج وهو على صليب الموت بهـذه الآية القرآنية « أو لم ننهك عن العالمين » . وكان ابراهيم بن فاتك مريده وخادمه وهو الذى روى لنا بعض فصـول كتاب « اخبـار الحلاج » اما القاضيان ابو بكر الحمادى وابن سريج فأولهما من قضـاة المـالكية المعروفين بتقربهم من الخلفاء والأمراء وثانيهما الفقيه الشافعى العظيم .

وقد أعدت صياغة احداث التاريخ . وبخاصة وقد أقترنت تلك الفترة بالغموض الشديد . فاقتصرت على المحاكمـة الأخيرة وقد كان رأى ابن سريج فى كراهيته محاكمة الانسان فى تفاصـيل عقيدته مع ألمع الآراء التى وردت فى المحاكمة الأولى . فدفعت به الى المحاكمة الثانية . ورغم انه ــ على رواية انفرد بها ماسينيون ــ لم يكن احد قضاتها .

كما انى أيقنت منذ القراءة الأولى للمادة المروية عن الحلاج أن كثيرا من اخبار شطحاته ومعجزاته مبالغ فيها . خاصة وقد أصبح بعد موته وليا وقديسا ومهديا منتظرا عند بعض المسلمين . فكونت من الطواسين ومن شعره مذهبا تصوفيا ينسجم مع التصوف واصول العقيدة المتحررة معا .

(ب) نشأ المسرح شعريا . وأغلب الظن انه سيعود كذلك . رغم غلبة الطابع الاجتماعي النثرى منذ أواخر القرن التاسع عشر. ولكن الايماضات الشعرية التى تتخلل المسرح النثرى الآن تؤذن بعودة الشعر الى المسرح . وليس الأسلوب النثرى المحكم — كما قال أحد النقاد — الا محاولة الاقتراب من الشعر فى تركيزه وموسيقاه .

وقد واجهتنى مشكلة الموسيقى . ولأهل الولع بالعروض أقول انى استعملت فى مسرحيتى هذه اربعة ألوان من التفاعيل :

اولاها : تفعيلة الرجز « مستفعلن » بما يجوز أن يدخلها من التحويرات .

ثانيا : تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وقد كان العروضيون الأقدمون يجيزون فيها اسكان الخامس المتحرك . فتصبح « مفاعلين » ولكنهم يستكرهون حذف السابع لتصبح « مفاعيل » وان كانوا لا يحرمونه . وقد وجدت اللغة المسرحية تحبه وترتاح اليه أحيانا . ولعل هذا هو ما اريد ان الفت له . وهو أن الكتابة للمسرح الشعرى ستدخل على موسيقى العروض نوعا من الطواعية .

وثالثها : تفعيلة المتقارب « فعولن » .

ورابعها : تفعيلة المتدارك « فعلن » المحورة عن فاعلن . شاع استعمال هـذه التفعيلة فى شعرنا الحديث . وهى اقرب الى لهجة الحوار من الرجز . وفيها موسيقية راقصـة وخاصة اذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك فسـاكن . ولكنها ان حركت آخر حروفها أحيانا . وهـذا ما لم يجزه الأقدمون . اصبحت ذات ايقاع جـاد . وانكسرت الحركة الراقصة لتحل محلها تناوبات موسيقية متماوجة .

وتحريك الحرف الأخير يمارسه جميع من يكتبون الشعر الحديث رغم تحريم الأقدمين له .

وهذه هى المحاولة الأولى . ولاشـك ان المسرح الشـعرى سيطور عروضه .

ص٠ع

رقم الإيداع ٧٤١٩/ ٩٦
الترقيم الدولى I.S B.N. 977- 01- 4859- 8



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب